بسم الله

من ذكرياتي في السجن

عبد الحميد رميته , الجزائر

فهرس

1 - فاقدُ الطهورين :

2 - السجن أحبُّ إلي :

3 – إياك والظلم :

4 – أنام عريانا ووسط الماء البارد (!) :

5- قضاء الحاجة نعمةٌ كبيرةٌ :

6 – أغتسل خلال دقيقتين فقط :

7- أنا شخصية كبيرة وأنا لا أعلم (!) :

8- أتوضأ بكأس ماء فقط ! :

9- يتمنى المرء في السجن لو أن ذاكرته تمسحُ تماما :

10- حكاية سجني الأول عام 1982 م :

11- عبيد التدخين في السجن :

12- عن التعذيب بالكهرباء :

13- لا تضحك علي حتى لا أضحك عليك ! :

14- آه كم كانت قيمة فنجان الحليب عظيمة ! :

15- النوم في الماء البارد والصلاة عريانا ! :

16- الأخوة والمحبة في السجن نعمة عظيمة جدا :

17- " سي عبد الحميد , وعمي عبد الحميد , والأخ عبد الحميد " :

18- أحسن يوم في حياتي :

19- أحسن ليلة في حياتي ليلتان :

20- النكت المتعلقة بالقرآن أوالسنة :

21- هذه قيمة الشؤون الدينية عند البعض من مسؤولي المخابرات في بلداننا الإسلامية :

22- بين مراعاة الدين والجمال في اختيار الزوجة :

23- أنت بهذه الطريقة سبب غير مباشر لمن قال " الدين أفيون الشعوب " :

24- يمكن أن يغضب الواحد منا لأبسط الأسباب !:

25- " اللهم تقبل من الصائمين واغفر للمفطرين "!:

ثم بسم الله من جديد

1 - فاقدُ الطهورين :

كنتُ في فترة ال عام ونصف العام التي قضيتُها في سجن البرواقية (بين نوفمبر 1982 م وماي 1984 م) مع 20 أخا كريما , كنت أُقدم خلال الجزء الأكبر من هذه الفترة أُقدم للإخوة المحبوسين معي دروسا دورية في الفقه على المذهب المالكي (مقارنا بالمذاهب الإسلامية الأخرى) لأنه المذهب السائد عندنا في المغرب العربي . وكنت أركزُ فيما أقدم من دروس على فقه العبادات التي كنا في أشد الحاجة إليها في السجن , وكنتُ أركز على الأخص على فقه الصلاة . وفي البعض من هذه الدروس قدمتُ لإخواني بعض الدروس التي يحتاج إليها السجينُ أسميتُـها " فقه السجين ". ومن ضمن المسائل التي كلمتُ الإخوة عنها في هذه الدروس مسألة " فاقد الطهورين ". تحدثَ الفقهاءُ قديما عن فاقد الطهورين (أي الذي لا يستطيع أن يتوضأ أو يغتسل , ولا يستطيع أن يتيمم) ماذا يفعل بالنسبة للصلاة ؟. واختلف المالكية في الجواب عن السؤال على 4 أقوال :

الأول : أن المسلم يصلي , ولا يجب عليه القضاء بعد ذلك .

الثاني : يصلي , ويجب عليه القضاء .

الثالث : لا يصلي , ويجب عليه أن يقضي ما فاته بعد ذلك .

الرابع : لا يصلي , ولا يقضي .

وكنت أنصحُ نفسي وإخوتي بالأخذ بالقول الأول لأن فيه فائدتين أساسيتين :

الأولى : أن فيه رفعٌ للحرج عن المسلم بعدم وجوب القضاء فيما بعد , خاصة وأن فترة السجن قد تطول.

الثانية : أن فيه الإبقاء على المسلم مرتبطا ومتصلا بالله بشكل دائم ومستمر , من خلال أداء الصلاة في وقتها ولو بدون وضوء ولا تيمم .

وهذه المسألة الفقهية مرتبطة دوما في ذهني بما وقع لي في السجن – بين سبتمبر 85 م وجانفي 86 م - حين مُنعتُ في يوم من الأيام من الوضوء لصلاة العصر . طلبتُ عندئذ من الحارس (الجلاد , القاسي جدا...) أن يعطيني حجرا مهما كان صغيرا لأتيمم به (والأحجار متوفرة وبكثرة داخل السجن أو خارجه) . أتدرون ماذا كان رده على طلبي ؟. لقد كان ردا قاسيا , خاصة من حارس لا يصلي ولا يريد أن يرى مصليا في حياته كلها. قال لي" أسكت" , ولما أعدتُ الطلبَ متوسلا إليه (ولو كان المطلوبُ دنيا وليس دينا ما توسلتُ إليه أبدا) بأن يعطيني حجرا قال لي " أغلِق فمك وإلا !" , فأعدتُ الطلبَ والرجاءَ مرة ثالثة , فقام عندئذ غضبانا وتوجهَ إلى زنزانتي وفتحها ليُسمعني الكثيرَ من الكلام الفاحش ومن " الكفريات" التي يهتز لها عرشُ الرحمان غضبا , ثم أوجعني ضربا , ثم أعادني إلى الزنزانة من جديد , حيثُ صليتُ العصر بلا وضوء ولا تيمم على رأي بعض الفقهاء المالكية .

2 - السجن أحبُّ إلي :

إنني أعتقد أن حياة الإنسان في منزله – مع زوجته وأولاده - ذليلا خاضعا لمن أذله أسوأُ وأشقى آلاف المرات من السجن ومتاعبه – ولو بعيدا عن الأهل والمال والولد و...- مع احتفاظ الإنسانِ بالاستعلاء على من ظلمه وإشعاره بأنه لا يخشاه ولا يخاف منه , وصدق سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام : (السجن أحبُّ إلي مما يدعونني إليه) . ولقد مضى عليَّ وقتٌ كنتُ فيه أضحكُ بصوت مرتفع أمام جلادي (حتى وهو يجلدُني في السجن) وأُحِسُّ بالعزة وتغمرني الراحةُ العارمة , وهو في المقابل في قمة غضبه ويُحسُّ حتما بالذلة ويخيم على عقله وقلبه ضيقٌ شديدٌ , لأنه على الباطل وأنا على حق , ولأنه ظالمٌ وأنا مظلومٌ , ولأنني سُجنتُ بسبب أنني أدعو إلى الله وأما هو فيعذبني في سبيل الشيطان والعياذ بالله .

والسجين - إذا كان على حق وكان مظلوما وكان يعلم أن ما أصابه هو في سبيل الله وحده - يمكن أن يقولَ لجلاده بكل قوة : "والله أنا في سعادة لو علم بها أقوى شخصٍ في البلاد لقاتلَني عليها بأقوى سلاحٍ عندهُ " .

3 – إياك والظلم :

قال عبدٌ صالح لحاكمٍ :".. فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد ، فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرةَ اللهِ عليك . واعلم أنكَ لا تأتي إلى الناس شيئا إلا كان زائلا عنهم باقيا عليك ، واعلم أن الله عز وجل آخذٌ للمظلومين من الظالمين ".

وأذكر بالمناسبة أن جلادا من الجلادين كان يجلدني- مع غيره - في السجن بين سبتمبر 1985 م وجانفي 1986 م ويعذبني بالكهرباء ويضربني ويسبني , ويسب أمي وأبي والعلماء والأنبياء ويقول لي : " قل لربك ينزل ليدافع عنك !!!". كنت أقول له ولكنه لا يفهم للأسف الشديد :

- "يا فُلان أنت لا سلطانَ لك إلا على بدني , أما عقلي وقلبي فإنك لن تصل إليهما مهما حاولت وعاونك على ذلك ظلمةُ الدنيا كلهم ".

- و" يا فُلان أما ظلمك لي فإنه زائل عني بإذن الله طال الزمن أو قَصُر ولا يبقى لي منه إلا الحسنات بإذن الله , ولكنه باقٍ عليك إلى أن تلقى ربك يوم القيامة على شكل سيئات قد تقدر على حملها ويمكن جدا أن لا تقدر ".

ولكن لا حياة لمن تنادي . وكما قال الله (فإنها لا تعمى الأبصار, ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) .

4 – أنام عريانا ووسط الماء البارد (!) :

لا يعرفُ قيمةَ النعمةِ إلا من فقدها . هذه حقيقةٌ يعرفُها أغلبُ الناسِ من الناحية النظرية , ولكن القليلَ من الناس من يعرفُـها حقيقة وواقعا , ومن يعلمُـها علمَ اليقين وعينَ اليقين .

ومما وقعَ لي منذ سنوات وسنوات , مما لهُ صلة بهذه المسألة بعضُ الحرمانِ أو الكثيرُ من الحرمانِ عِشْـتُـه في السجنِ أيام زمان :

1 -في المرة الأولى : لمدة 18 شهرا , أي بين نوفمبر 1982 م , وماي 1984 م .
2 -وفي المرة الثانية : لمدة 3 أشهر ونصف , أي بين 30 سبتمبر 85 م , و15 جانفي 86 م .

ومن أمثلة ذلك : ثلاثة أيام قضيتُها في زنزانة عُريانا كيومِ ولدتني أمي . آكلُ عريانا وأشربُ عُريانا ويُحقَّقُ معي وأنا عريانٌ وأُعَذَّبُ وأنا عُريان و...وأنامُ وأنا عُريانٌ . ولا أنامُ وأنا عريانٌ بفراش أو غطاء , بل أنامُ وأنا عريانٌ ومحرومٌ من أي فراش أو غطاء في ليالي نوفمبر الباردة وفي مدينة ... (عاصمة الشرق الجزائري) المعرفة ببرودتها الزائدة في فصل الشتاء . ويا ليتَ الأمر كان كذلك فقط , إذن لهان الأمرُ عليَّ , ولكن المصيبةَ الأكبرَ هي أنني قضيتُ تلكَ الأيام الثلاثة وأنا أنامُ في زنزانة فيها ماءٌ بارد يصلُ إلى ارتفاع حوالي نصف متر . أنامُ في هذه الزنزانة ووسط الماء البارد وأنا عريان وبلا فراش أو غطاء ؟!. نَعم , أنامُ فيها نوما

حقيقيا وأنا منكمشٌ على نفسي داخل الزنزانة , وعريانٌ وفي وسطِ الماءِ البارد , ولكنه نومٌ متقطع إلى (ربما) أكثر من 200 قطعة , أي أنني أنامُ حوالي دقيقة ثم أستيقظُ – بسبب برودة الماء وبرودة العري وبرودة الزنزانة وبرودة الجو السائد في الخارج و... برودة (أو سخونة) التعذيبِ في كل وقت من الليل أو من النهار- ثم بعدها بدقيقة أو دقيقتين أنامُ لحوالي دقيقة أخرى ثم أستيقظ , وهكذا ...

وفي ذلكَ الوقتِ , وفي تلك الأيامِ علمتُ علمَ اليقينِ وعينَ اليقين :

1 -أنَّ نعمَ الله علينا بالفعل لا تُعد ولا تُحصى.
2 -أن النومَ – مجردَ النوم - نعمةٌ من أعظمِ نعمِ الله علينا .
3 -أن الثيابَ - مهما كان نوعُها , المُـهم أنهَا تستُرُ العورةَ - نعمةٌ أخرى عظيمةٌ من نعم الله علينا .
4 -أن الفراشَ والغطاء نعمتان كبيرتان من نعم الله على كل عبد حتى ولو كان كافرا .
5- أن الله يدافعُ عن الذين آمنوا , ومنهُ فمع كلِّ هذا البلاءِ المُسلطِ علي كانت معنوياتي مرتفعة جدا , وكنتُ – نفسيا - قويا جدا , وكان إيماني زائدا والحمد لله , وكنتُ باختصار أسعدَ مليون مرة من جلادي , لأنني على الحقِّ وهوَ على الباطلِ , ولأنني مظلومٌ وهو ظالمٌ .

5- قضاء الحاجة نعمةٌ كبيرةٌ :

قضيتُ الفترة الممتدة من 1985/09/30 م إلى 1986/01/15 م متنقلا من معتقَل إلى معتقَل ومن زنزانة إلى أخرى . قضيتُ تلك الفترة مع جلادين مختارين " على المقاس " : قساة غلاظ شدادٌ , لا يُصلون ولا يعرفون اللهَ ولا تأخذهم بمؤمن شفقةٌ أو رحمة , يعصون اللهَ فيما أمرهم ولا يفعلون ما يأمرُهم به ربُّـهم أو نبيهم أو دينهم , أقوياءُ ومتفوقون ولكن في الإثم والعدوان والظلم والتعدي والإساءة و...

ومن جوانبِ الظلم التي كنتُ ضحية لها في المعتقل الأخير أن المسؤولين عن المعتقل كانوا يفرضون على الواحدِ منا أن لا يخرجَ إلى المرحاضِ - أكرمكم اللهُ – في الـ 24 ساعة إلا مرتين فقط (مرة في الصباح ومرة في المساء) , ومدةُ المرةِ الواحدة لا تتجاوزُ الدقيقتين فقط . وإذا انتهت الدقيقتان بالضبط وجبَ على الواحدِ منا أن يخرجَ من المرحاضِ في الحينِ وإلا فتح الحارسُ السجان الجلاد عليك البابَ حتى ولو كنتَ عريانا وأخرجكَ من المرحاضِ بالقوةِ وبالضرب . وإياك أن تطلبَ وقتا أطولَ لقضاءِ الحاجة لأنك تريدُ ذلك أو لأنك تعودتَ على ذلك أو لأنك تعاني من إمساك أو من إسهال أو ... إياك ثم إياك لأن طلبَك لن يُلبى ثم قد تُضربَ ضربا ربما مُبرِّحا لأنك طلبتَ لنفسك حقا من حقوقِ الإنسانِ والحيوان (!) . وفي تلك الفترة عرفتُ بحق بأن قضاءَ حاجتِك (على راحتك) في المرحاض بدون أن ينتظرَك مُنتظِر وبدون أن يحسبَ لك الوقتَ حاسبٌ وبدون أن يأمرَك بالخروج آمرٌ هو نعمةٌ من نعمِ

الله عليك لو حاسبتَ نفسكَ , نعمة من نعم الله التي لا تُعد ولا تُحصى "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها " . وحينها تذكرتُ وفهمتُ جزء مما يحمله حديثُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من معاني "حدثنا وكيع عن زمعة عن سلمة بن هدام عن طاوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا خرج أحدكم من الخلاء فليقل (الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأمسك علي ما ينفعني) " .

6 – أغتسل خلال دقيقتين فقط :

أنا أجزم بأن بعض ظروف المساجين الإسلاميين في بلادنا العربية هي أسوء من ظروف الحيوانات , وهي من أسوأ الظروف التي يعيشها مسجونٌ في أي بلد من بلاد العالم مهما كان ثالثا أو متخلفا . ومن علامات ذلك التضييق على المسجون في أبسط حقوقه كإنسان سواء كان مسلما أو كافرا , ومنها حقه في الاغتسال (أو الدوش douche) كل أسبوع أو أكثر أو أقل . في الفترة بين سبتمبر 1985 م وجانفي 1986 م قضيتُ 3 أشهر ونصف في زنزانة انفرادية أشتاقُ فيها للهواء (عندما أحسُّ بضيق التنفس أضعُ أنفي بين أسفل الباب وأرضية الزنزانة لأتنفسَ قليلا ولا أختنقَ من قلة الهواء) وللضوء (ليس عندي في الزنزانة إلا مصباح خافت وضعيف مشتعل 24 /24) . وكان الواحد منا في الزنازن المختلفة يلبسُ لباسَ المساجين , وهو سروال متصل بقميص في لباس واحد يُفرض لبسُه على المساجين. وكان الواحد منا لا يغتسل إلا مرة واحدة في الشهر (وهي فترة طويلة جدا بطبيعة الحال) , وكان يشترط علينا أن ننهي الغسلَ خلال دقيقتين بالتمام والكمال (120 ثانية) , فإن انتهت الدقيقتان ولم يخرج الواحدُ منا من حمامه فُتح عليه البابُ وتم إخراجُه من الحمام عُريانا وبالقوة ومع الضرب ! . ويمكن للقارئ الكريم أن يتخيل كيف يمكن للواحد منا أن يغتسل خلال دقيقتين ودقيقتين فقط !!! . أنا الآن عندما أذكر ذلك أضحكُ وأكاد أبكي : أضحكُ لأن الاغتسالَ في دقيقتين مضحكٌ بالفعلِ ويمكن اعتباره نكتة حقيقية حتى وإن كان تصديقُها صعبا جدا , وأكادُ أبكي للظلمِ الواقع في دنيا الناس اليوم خاصة ضد الإسلاميين بتهمة أنهم أصوليون أو إخوان مسلمون أو إرهابيون أو ...إن الدم الإسلامي اليوم – في الدنيا كلها – هو أرخصُ الدماء , وإن العرض الإسلامي اليوم – في الدنيا كلها – يداس ويهان للأسف الشديد . كنتُ أدخلُ إلى الحمامِ فأنزعُ لباسي – أكرمكم الله - في حوالي 10 ثواني ثم أصب الماءَ البارد على جسدي في حوالي 40 ثانية ثم أمررُ الصابونَ على جسدي بسرعة فائقة خلال حوالي 20 ثانية ثم أصب الماءَ البارد على جسدي مرة ثانية خلال حوالي 40 ثانية (بدون أي دلك لأنه ليس لدي الوقت الكافي للدلك , وبدون نزع الصابون كله من فوق جلدي لأن الوقت لا يكفيني لإزالة كل آثار الصابون من فوق جسدي) , ثم أنشف جسدي من الماء والصابون خلال حوالي 5 ثواني , فتتبقى لي حوالي 5 ثواني أخيرة ألبس فيها ثيابي بسرعة قبل أن يُفتحَ علي البابُ من طرف الجلادِ الفظ الغليظ .

7- أنا شخصية كبيرة وأنا لا أعلم (!) :

عندما كنتُ أدرسُ بثانوية من الثانويات في ولاية من الولايات اعتُقلتُ من طرف رجال الأمن العسكري (لأنتقل عبر عدة معتقلات ولأبقى في المعتقل 3 أشهر ونصف قبل أن يطلق سراحي ويتم إجباري على الإمضاء على وثيقة أُعلن من خلالها بأنني عوملتُ طيلة اعتقالي معاملة طيبة , مع أنني في حقيقة الأمر ذُقت الويلات وسُلطت علي أشكالٌ وألوان من العذابِ البدني والنفسي و...) بتهمة أنني متدين وأتحدث في الدين وأنني " خوانجي" وأنني أتصل بالطلبة في الجامعة لأقدم لهم دروسا وندوات ومحاضرات إسلامية وأنني أنتقد سياسة الدولة , وأنني ضد أمن الدولة وأنني أهدد وحدة التراب الوطني وأنني... الخ...

وأثناء اعتقالي استدعاني أكثر من مرة ضابطٌ كبير ليحققَ معي . وأثناء التحقيق في مرة من المرات , قال لي الضابطُ بلهجة الواثق من نفسه ومما يقول وبلهجة المُهدد والمُتوعد : [أنت لك صلة وثيقة :

1- بـ" الخميني " زعيم الثورة في إيران (ربما بسبب بعض المجلات والكتب الدينية التي كانت تُرسل إلي من إيران مجانا بعد 1979 م , عندما كنتُ غافلا عن انحرافات الشيعة الإمامية الإثناعشرية في العقيدة وعن حقدهم الكبير على أهل السنة والجماعة) .

2- وبالملك السعودي "خالد" رحمه الله (ربما بسبب الكتيبات والمطويات الإسلامية التي كانت تصلني مجانا بين الحين والآخر من طرف بعض الجهات الخيرية في السعودية) .

3- وبالتنظيم الدولي للإخوان المسلمين (ربما بسبب مجلة " الدعوة " التي كنتُ مشتركا فيها والتي كانت تصلني شهريا لسنوات)].

ولو أن هذه التهمة وُجهت إلي اليوم لكان جوابي وردي عليها أكثر حكمة وأقل تهورا , ولكنني في ذلك الوقت كنتُ شابا مملوء حيوية ونشاطا وحماسا للدين و... وكذلك تهورا واندفاعا . ولذلك أجبتُ الضابطَ ساخرا ومستهزءا به وبسخافة تفكيره " والله إذن (ما دامت لي صلة بالخميني وبالملك خالد وبالتنظيم الدولي للإخوان المسلمين) أنا شخصيةٌ كبيرةٌ , وأنا لا أدري !". وكان من نتيجة جوابي هذا أن أسمعني الضابطُ الكثير من السب والشتم لله وللدين ولي أنا , كما أشبعني ضربا .

8- أتوضأ بكأس ماء فقط ! :

من الذكريات المتعلقة بالسجن الأول "من نوفمبر 82 م إلى ماي 84 م " , وعندما كنا في الزنزانة أنا و4 إخوة معي , قضينا حوالي شهرا ونصف الشهر مع بعضنا البعض . من هذه الذكريات أننا وبسبب قلة الماء الذي كان يُعطى لنا (طبعا ليس لأن الماءَ غيرُ موجودٌ , وإنما كنا نُحرمُ من الماءِ كوسيلة من وسائل التعذيب النفسي خاصة) , كان الواحدُ منا يتوضأُ أحيانا

بكأس ماء فقط !. كأس ماء صغير وليس كبيرا (حجمُه يساوي تقريبا حجمَ فنجان القهوة أو أكبر منه قليلا) .

ا- وكان الواحدُ منا يحرصُ في الوضوءِ على أن يكتفيَ بفرائضِ الوضوءِ فقط , ما دمنا في ضيق من أمرنا ولسنا في سعة .

ب – وكنا نكتفي في الأعضاءِ التي يُطلبُ فيها الغسلُ لا المسحُ (الوجه واليدين والرجلين) بسيلانِ الماء على العضو لا من العضوِ , لأن هذا قولُ بعضِ الفقهاءِ في توضيحِ الغسلِ المطلوبِ في الوضوءِ خاصة . وكان في هذا من التخفيفِ علينا ما فيه ومن التيسيرِ علينا ما فيه , لأنه لو كان المطلوبُ سيلانَ الماءِ من العضو (لا على العضوِ) لاحتجنا إلى كمية أكبر من الماء للوضوء , ولكان كأسُ الماءِ غير كاف ولو من أجل نصف وضوء .

ومما تعلمتهُ من تلك التجربة :

1- أهميةُ الاقتصاد في الماءِ سواء ونحنُ نطلبُ الدنيا أو الآخرة .

2- نعمُ الله على الإنسانِ - أي إنسان - لا تُعد ولا تحصى .

تعلم الفقه الإسلامي مُهم من جهات عدة , ومنها أنه يُخففُ عليكَ من حدةِ أوقات الشدةِ
4- الاختلافُ بين العلماء (إن لم يُصاحبهُ تعصبٌ وتزمتٌ وتشددٌ) رحمةٌ عظيمةٌ .

9- يتمنى المرء في السجن لو أن ذاكرته تمسحُ تماما :

من أهم ما كان يبحثُ عنه رجالُ المخابرات الجزائرية مع الإسلاميين في المعتقلات والسجون خلال فترة الثمانينات (وقبل أن يسمحَ الرئيسُ الشاذلي بن جديد بالتعددية الحزبية وبحزب إسلامي ثم أحزاب إسلامية ثم ... ثم دخلت الجزائر في العشرية الحمراء) أمرٌ واحدٌ مهم جدا وهو : أسماء إسلاميين نشطين متهمين عنده (ولو لأتـفه السباب أو للا سبب) بتهديد الأمن العام والخروج على النظام والاعتداء على وحدة التراب الوطني , وكذا بتكوين عصابة أشرار أو بالانتماء للإخوان المسلمين أو بإنشاء حزب سياسي أو جماعة إسلامية أو تنظيم إرهابي أو ... وكان الجلادون يُـعذبوننا كثيرا من أجل أن يأخذوا منا أسماء أشخاص (أقارب أو جيران أو إخوة في الدين أو أصهار أو زملاء في العمل أو في الدراسة أو ...) مهما كانوا عاديين ولا صلة لهم لا بالدعوة ولا بالحركة ولا بالسياسة ولا ... بالنسبة لرجال المخابرات كل من يعرفه الإسلامي (أي كل من يعرفه أحدُنا) هو إسلامي كذلك وهو خطير كذلك وهو إخواني كذلك وهو إرهابي كذلك وهو ... وبمجرد معرفة اسمه يُـعتقل وتُـلصق به أية تهم باطلة ويُـبدأ في تعذيبه هو بدوره , ثم الله وحده أعلم متى يتم إطلاق سراحه ؟!. ولذلك كنا نحرص كل الحرص على أن نموتَ من العذاب ولا نُـسمي شخصا , أيَّ شخص . وكنا من أجل ذلك نكذبُ (والكذبُ هنا جائز بإذن الله) حين ندعي بأنـنا لا نعرف أحدا وأن الناس يعرفوننا وأما نحن فلا نعرفُ أحدا منهم , أو بأننا كنا نعرفُ الكثيرَ من الناس ولكننا نسينا أسماءهم (!) , قلتُ :

كنا نكذبُ والجلادون يعرفون بأننا نكذبُ , لأنه يستحيلُ أن لا نعرفَ أحدا أو يستحيلُ أن ننسى كلَّ الناسِ . لقد عُذبْتُ عشرات المرات العذابَ المنوع , المادي والمعنوي والنفسي , كما عُذبت بالكهرباءِ و ... من أجلِ أن أذكرَ للجلادين شخصا واحدا أعرفه فلم أذكر ولو شخصا واحدا أبدا , وكنتُ دوما مستعدا ليُقطع جسدي قِطعا قطعا ولا أسمي شخصا , وكنت أقول لنفسي " أموت – في سبيل الله – ولا أتسببُ في أي أذى يصيبُ أي شخص مهما كان اسمه ".

ومن أجل ذلك كان الواحد منا أثناء التعذيب الشديد يتمنى لو أن ذاكرته تُمسح تماما حتى لا يُسميَ شخصا مهما كان ولا يتسبب في إيذاء أي عبد من عباد الله , لأن الواحدَ منا كان يخافُ على نفسِه أن لا يطيقَ العذابَ فيُسمي شخصا ويؤذيهِ من حيث لا يريد أن يؤذيَه .

نسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة آمين .

10- حكاية سجني الأول عام 1982 م :

السجن الأول وقع في نوفمبر من سنة 1982 م , وكان السبب في اعتقالي هو" إنك - يا رميته , تتكلم في السياسة والحجاب والصلاة مع التلاميذ , وتتكلم في السياسة في المساجد , وتتصل بالطلبة في الجامعة من أجل تقديم محاضرات وندوات ودروس أنت تدعو من خلالها إلى مخالفة سياسة البلاد وإلى ...
ثم بعدما اعتقلتُ بأيام استدعاني بعض الضباط الكبار أو السامون (من خلال سهرة استمرت من بعد العشاء إلى قبيل الصبح) , وحاولوا استعمال الترغيب معي من أجل إخضاعي لهم (!) . طلبوا مني أن أعمل معهم في مجال المخابرات العسكرية , ووعدوني بفيلا وسيارة ومكافأة مالية مهمة , وقالوا لي بأن كل ذلك وأكثر منه سيعطى لك مسبقا ونقدا , وقالوا لي " إن قبلت عرضنا فإننا سنكتب ونوثق ما وعدناك به , لتطمئن إلى أننا صادقون معك كل الصدق " , فقلت لهم " يستحيل أن أعمل معكم , وأنا أراكم تحاربون الله ورسوله وتحاربون البلاد والعباد . هذا مستحيل , حتى ولو عرضتم علي الدنيا كلها " . هددوني بعد ذلك بالضرب وبالكهرباء وبـ ... فقلت " تعودت على كل ذلك , ولن أستجيب لعرضكم مهما رغبتموني أو هددتموني ".
وفي الأيام السابقة التي تلت تلك الحادثة وقع تجمع كبير جدا في يوم جمعة بالجزائر العاصمة قدم من خلالها بعض الدعاة عريضة سياسية للنظام من أجل إصلاح حقيقي للجزائر حكومة وشعبا . وهذه الخطبة للجمعة دعا إليها وأشرف عليها درسا وخطبة وإعدادا وتنظيما و...
بعض الدعاة آنذاك أمثال عباسي مدني وعبد الله جاب الله ومحمد السعيد رحمه الله وبوجلخة و... وحضر تلك الجمعة التي كادت تزلزل أركان النظام , حضر فيها أكثر من مليون شخص (ولو لم تغلق السلطات الجزائر العاصمة من صباح الجمعة , لربما بلغ العدد المليونين) .
وكان رئيس الجزائر آنذاك الشاذلي بن جديد , كان خلال ذلك اليوم (الجمعة) في زيارة لليبيا , فاضطر لقطعها والعودة بسرعة إلى الجزائر .
خلال يومين أو ثلاثة اعتقلت السلطات الجزائرية المشرفين والمنظمين للجمعة , (اعتقلت 22 شخصا , كان منهم الشيخ عبد اللطيف سلطاني والشيخ أحمد سحنون رحمهما الله " .
أما أنا فلم تكن لي أية صلة بتلك الجمعة لأنني خلالها كنت في المعتقل بمدينة قسنطينة .

إذن عندما حاول بعض الضباط معي من أجل أن أعمل معهم ورفضتُ رفضا قاطعا , قلت : عندئذ اتصلوا (أمامي) من خلال الهاتف , اتصلوا بالجزائر العاصمة وقالوا لهم "عبد الحميد رميته اعتقلناه من أجل أنه ضد الدولة ويتحدث في السياسة ويحرض الناس على الخروج على النظام و ...اعتقلناه ولم نجد عنده أمرا خطرا يمكننا أن نحاكمه بناء عليه , ولكنه عنيد لأنه لم يرد أن يعمل معنا مع كل ما استعملناه معه من ترغيب وترهيب " ,
فردوا عليهم من العاصمة"أرسلوه إلينا بالعاصمة لنضمه إلي من اعتقلناهم هنا في هذه الأيام" وفي الغد ضموني إلى ال 22 فأصبح عددنا 23 شخصا (أبقي على إثنين منا هما الشيخين أحمد سحنون وعبد اللطيف سلطاني , أبقي عليهما تحت الإقامة الجبرية بسبب كبرهما) .
بقينا في المعتقل من خلال زنزنات صغيرة (كل واحدة ل 4 أو 5 أشخاص , وكان معي أنا في الزنزانة محمد السعيد رحمه الله وعباسي مدني وعبد الله جاب الله وأخ رابع , وأنا كنتُ الخامس) في سجن البرواقية (بولاية المدية) لمدة حوالي شهر ونصف ثم نقلنا إلى سجن جماعي حيث حُقق معنا مرات ومرات .
وبعد عام ونصف (في ماي 1984 م) أُطلق سراحنا بعد أن حكمت محكمة أمن الدولة لمدينة المدية , حكمت لصالحنا بالبراءة .
والله أعلم . نسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

11- عبيد التدخين في السجن :

ما أبعد الفرق بين من دخل السجن لأنه سرق أو كذب أو خان أو زنى أو قتل أو ... وبين من دخله لأنه دعا إلى الله وطالب بتطبيق شريعة الله تعالى على عباد الله . الفرق بين هذا وذاك كالفرق بين الأرض والسماء .

وأنا أذكر هنا بالمناسبة أنني أنا والبعض من إخواني عندما كنا في المعتقل في ضواحي العاصمة الجزائرية نهاية عام 1985 م , وذلك عندما اعتُقلتُ واتهمتُ بأن لي صلة بالشيخ مصطفي بويعلي رحمه الله الذي يُعتبر أول من خرج من الإسلاميين بقوة الساعد والسلاح على النظام الجزائري في ذلك الوقت .

أدخلتْ السلطةُ معنا إلى نفس المعتقل أشخاصا آخرين من أجل سرقة أو زنا أو قتل أو ما شابه ذلك من الجرائم . وكنا (الإسلاميون) في زنازن انفرادية , وكذلك الآخرون كانوا في زنازن انفرادية أخرى .

وأذكر أننا عرفنا الآخرين من خلال ما كنا نسمعه من توسلاتهم إلى السجانين الغلاظ الشداد , حين كان الواحد منهم يرجو من السجان أن يعطيه ولو جزء من سيجارة يدخنها ويخفف بها من وطأة الإدمان على التدخين عنده . كان السجين يتوسل , وكان السجان يسب ويشتم ويكفر بالله ويقول الكلام البذيء الفاحش . كان السجين يتوسل والسجان يستجيب مرة واحدة ويرفض الاستجابة 10 مرات .

وفي المقابل نحن كنا نتوسل إلى السجانين من أجل الماء للوضوء أو الحجر للتيمم أو ... وهم كانوا يتوسلون إليهم من أجل قهوة أو سيجارة ...

وأذكر أنني أشفقتُ على البعض منهم وعلى إدمانهم على التدخين وهم في السجن , أي في مكان هم أحوج ما يكونون فيه إلى التوبة والاستغفار والإقلاع عن التدخين وما يمكن أن يكون معه أو ملازما له من شرب خمر أو زنا أو ... وعندئذ عمدتُ إلى الفتحة البسيطة تحت باب زنزانتي لأضع فمي عندها وأكلمَ أحدَ السجناء (وزملاؤه يسمعون) وأنصحه بجملة نصائح . وكان من جملة ما نصحتُـه به ما يلي :

1- الإنسان لا بد له أن يكون عبدا : إما لله , وإما للهوى والشهوات والشيطان والتدخين والمعاصي والذنوب والآثام و ... فاختر أيهما أفضل لك .

2- قد يُـقبل منك أن تُذل نـفسك لعبد مثلك من أجل ضروريات الحياة مثل الأكل والشرب أو ما شابه ذلك , ولكن لا يجوز أبدا أن تُـذل نفسك من أجل أمور فيها شقاء الدنيا والآخرة .

3- السجن فرصة لك من أجل أن تتوب إلى الله وتصلي وتقلع عن التدخين و ...

4- أنت تحتاج إلى إرادة قوية وعزيمة فولاذية ولفترة قصيرة بإذن الله , من أجل أن تتخلص نهائيا من التدخين . وأما إن بقيتَ عبدا للتدخين فيمكن جدا أن تَـجُـرَّك الحاجةُ إلى التدخين إلى ارتكاب ذنوب ومعاصي أخرى ربما كانت أسوأ بكثير من التدخين .

5- إن أردت أن تخفَّ عليك وطأةُ السجن لا بد من الرجوع إلى الله ومن الإكثار من الصلاة والذكر والدعاء وتلاوة القرآن و ... وأما إن بقيتَ بعيدا عن الله فإن السجنَ يصبحُ من أثقل الأمور عليك .

وكنتُ وأنا أنصح السجينَ من تحت فتحة الباب كنت أتمنى من الله أن لا يسمعني السجَّـان حتى لا يعاقبني , وبالفعل ستر علي الله ولم يكتشف السجانُ أمر حديثي مع المسجونين الآخرين , والحمد لله رب العالمين .

12- عن التعذيب بالكهرباء :

ا- سألتني أخت من الأخوات في يوم من الأيام عن التعذيب بالكهرباء في السجن .

ب- وقال لي أخ من الإخوة " ذكرياتك أخي مؤلمة جدا , ولكن احمد ربك أن الاعتقال والتعذيب كان أيام زمان , حيث ما زال للسجانين قلوب ولرجال الأمن ضمائر حية . كانت أيام التعذيب في زمانكم قاسية ولكنها حلوة . أما الآن فتغير الحال وصار للتعذيب فنون وفنون وقست قلوب الرجال . وتغير الحال , وخاصة منذ أن ساعدتنا مصر الشقيقة (ودول

أخرى) برجال أقسي من اليهود وأشد من فرعون : رجال خبراء في التعذيب , فصدروا لنا أنواعا عديدة , مثل ... والكي بالكهرباء في أماكن حساسة... ودق المسامير ... ووو... نسأل الله العافية والسلامة ".

فأجبتُ بما يلي :

1- تعليقا على ما قال الأخ الكريم :
نعم أخي الحبيب أنت ذكرتَ بعض الفروق بين اعتقالات أيام زمان واعتقالات السنوات الأخيرة , وأنا أوافقك على كل ما قلتَ , ولكنني أضيف إلى ما قلتَ مُكملا لا مناقضا :
ا- أيام زمان كان عدد المعتقلين قليلا والآن أصبح كبيرا .
ب- أيام زمان كان التعذيب بشعا , ولكن الجلادين كانوا حريصين على أن لا يقتلونا , لأن الذي يقتلُ (قبل حالة الطوارئ عام 1992 م) , سيحاسب حسابا عسيرا .
جـ - أيام زمان كان عدد المعتقلين محدودا , ومنه فإن أغلبية الناس يسمعون بخبر من اعتُـقل . وأما اليوم فعدد المعتقلين كبير جدا , ومنه فإن الكثير من الناس لا يسمعون بخبر من اعتقل , لأن الاعتقال والسجن والقتل في أيامنا الحالية أصبح حدثا عاديا .
د- أيام زمان كان أبناء الحركة الإسلامية (ومعهم من اعتقل) , كانوا غالبا متحدين متحابين إخوة أقوياء , يجمعهم الإسلامُ العظيم , ولا تُـقسمهم لا الاختلافات البسيطة في العقيدة ولا الاختلافات البسيطة في الفقه ولا الاختلافات البسيطة في الدعوة ولا الاختلافات البسيطة في السياسة ولا ... وأما اليوم فتجد الإخوة (في بعض الأحيان , ولا أقول في أغلب أو كل الأحيان) في نفس المعتقل بل في نفس الزنزانة , تجدهم مختلفين منقسمين متصارعين متباغضين , فيما بينهم سب وشتم وسخرية واستهزاء وتحذير وتنفير واتهام لبعضهم البعض بالباطل وسوء الظن فيما بينهم وعدم التماس الأعذار لبعضهم البعض و ... وأحيانا يُـصلون في نفس القاعة من قاعات السجن بجماعتين وبإمامين , و" كل حزب بما لديهم فرحون " للأسف الشديد . والله أعلم .
2- وجوابا على سؤال الأخت الفاضلة : عن استعمال الكهرباء , فإنني أقول لها بأن الجلادين كانوا غالبا يغطون لنا رؤوسنا قبل أن يباشروا معنا التعذيب أو التحقيق , وذلك حتى لا ينتقم الواحدُ منا عندما يلقى جلاده خارج السجن في يوم من الأيام .
ومنه فإن الجلادين عندما كانوا يعذبونني بالكهرباء كانوا يغطون رأسي قبل البدء في التعذيب . لذلك فأنا لم أر شيئا مما يفعلون , وهم يعذبونني بالكهرباء . ولكن فقط أنا أذكر أنني وعندما استعملوا معي الكهرباء للمرة الأولى أحسستُ بألم شديد جدا , وساعدني على معرفة أن المسلط علي كهرباء لا غيرها :
ا- كوني أستاذ علوم فيزيائية , لها صلة وثيقة بالكهرباء .
ب - ما رأيتُه وقرأتُ عنه من استعمال للكهرباء من طرف الجلادين الفرنسيين ضد

أبناء الجزائر , أيام الاستعمار الفرنسي الذي دام أكثر من 130 سنة .
تألمتُ في المرة الأولى كثيرا ثم شغلتُ نفسي بعد ذلك بالذكر والدعاء كلما أحسستُ بأنهم يعذبونني بالكهرباء , فلاحظتُ مع الوقتِ أن الكهرباء تصبح - والحمد لله - مع الذكر والدعاء والقرآن أحيانا , تصبح بردا وسلاما .

13- لا تضحك علي حتى لا أضحك عليك ! :

عندما كنتُ في سجن البرواقية فيما بين نوفمبر 1982 م و ماي 1984 م , حيث قضيتُ المدة كلها مع 20 أخا من الإخوة (مجموعنا كان 21 شخصا) . عندما كنتُ في سجن البرواقية كان معي 20 شخصا أغلبيتهم من الجزائر العاصمة وضواحيها وكذا من الغرب الجزائري , وأما أنا والشيخ عبد الله جاب الله فكنا الوحيدين من الشرق الجزائري , وبالضبط من ولاية سكيكدة .

ومما كنتُ ألاحظه في تلك الفترة من المسائل الثانوية الفرعية البسيطة أن بعض الإخوة يتحدثون بلهجة الجزائر العاصمة ويأكلون ويشربون كما هي عادات وتقاليد العاصميين , وآخرين يتحدثون بلهجة الغرب الجزائري ويأكلون ويشربون كما هي عادات وتقاليد الغرب , وأما أنا وعبد الله جاب الله فإن لهجتنا هي لهجة سكيكدة , وطريقة أكلنا وشربنا كانت عموما كما هي عادات وتقاليد الشرق الجزائري .

ومما له صلة بهذه المسألة بالذات أنني كنتُ ألاحظ في تلك الفترة أن بعض الإخوة في البعض من أوقات فراغهم كانوا يسخرون (وأحيانا يمزحون فقط) من لهجة الغير ومن عادات وتقاليد الغير في الأكل والشرب و ... وأذكر أنني كنتُ غالبا إما أن أغيرَ موضوع حديثهم الهزلي (الذي إن لم يكن حراما فهو على الأقل لغو) إلى موضوع آخر جاد , وإما أن أحذرهم مما يقولون , وكان مما كنتُ أقول لهم :

1- إخوتي : نحن أحوج ما نكون كمسلمين إلى أن يكون أغلب حديثنا جادا .

2- ولما كنا دعاة إلى الله فمن باب أولى يجب أن ننـزه أنفسنا عن اللغو ما استطعنا , والأمة المجاهدة لا تعرف غالبا إلا الجد .

3- يجب أن نتعصب - إن تعصبنا – إلى اللغة العربية الفصحى التي هي لغة المسلمين جميعا دنيا وآخرة , لا إلى لهجتي أنا أو إلى لهجتك أنتَ . ومنه فإن الواجب أن نعتبر أن اللهجة الأفضل والأحسن هي اللهجة الأقرب إلى اللغة العربية . وفي الغالب ليست هناك لهجة أقرب إلى اللغة في كل كلماتها , وإنما كل لهجة هي قريبة في كلمات إلى اللغة وهي بعيدة عن اللغة في كلمات أخرى .

4- اللهجات مختلف فيها – عموما - بين الناس في كل زمان ومكان , ومنه فالواجب عدم التعصب فيها . ولا ننسى القاعدة الهامة جدا والصالحة في أمور الدين والدنيا : في المسائل التي لا خلاف فيها : الواجب هو التعصب , والتعصب محمودٌ بإذن الله تعالى . وأما في المسائل الخلافية الفرعية الثانوية الاجتهادية فالواجب سعة الصدر مع المخالف , وسعة الصدر فيها هي المحمودة , والتعصب - على الضد من ذلك - هو المذموم .

5- يجب أن نتعصب- إن تعصبنا – إلى الوصفات الطبية والصحية في الأكل والشرب , لا إلى عاداتي وتقاليدي أنا أو إلى عاداتك وتقاليدك أنتَ في الأكل والشرب . ومنه فإن الواجب أن نعتبر أن الطريقة الأفضل في الأكل والشرب هي الطريقة الأقرب إلى مراعاة الصحة أولا ثم مراعاة الذوق العام ثانيا . وفي الغالب ليست هناك منطقة جغرافية كل عاداتها وتقاليدها هي أقرب في كل شيء إلى مراعاة القواعد الصحية , وإنما كل منطقة لها عادات وتقاليد هي قريبة في أشياء إلى مرعاة الصحة وهي بعيدة عن مراعاة ذلك في أشياء أخرى .

6- حتى إن كان الأخ مازحا مع أخيه فالأفضل تجنب المزاح في أشياء مثل هذه أو على الأقل عدم الإكثار منه . ولا ننسى أن الذي لا يزعجه مزاحك اليوم قد يزعجه ذلك غدا للأسف الشديد , هذا في وقت وظرف نحن أحوج ما نكون فيه إلى المحافظة على الأخوة والمحبة والمودة والرحمة فيما بيننا . كما يجب ألا ننسى دوما أن الضحك بلا سبب أو لسبب تافه هو من قلة الأدب , وأن كثرة الضحك تميت أو تقسي القلوبَ والعياذ بالله تعالى .

7- لا تنسوا إخواني أن كل تعصب يمكن جدا أن يولد تعصبا مضادا , ومنه فإذا ضحكت علي يمكن أن أضحك عليك أنا كذلك , وإذا سخرت مني أنتَ يمكن أن أسخر منك أنا كذلك .

8- إذا كنتَ أنتَ اليوم في أغلبية مع أهل منطقتك فيمكنك أن تجد نفسك غدا معي أنا في مكان آخر وفي ظرف آخر حيث أكون أنا مع أغلبية من أهل بلدي وأنت لوحدك فقط .

9- وحتى لا يؤذيك أحدٌ لا تؤذ أنت أحدا , ولا تنس أن الظلم ظلمات يوم القيامة وأنه كما تدين تدان .

10-وأخيرا يجب أن نعلم علم اليقين أنه من الصعب بقاء الحب والأذى مجتمعين لمدة طويلة , ومنه إن أردتَ أن أحبك فلا تظلمني أخي الحبيب لمدة طويلة , وإلا فلا تلومن إلا نفسك إن تحول حبي لك إلى كره أو بغض .

نسأل الله أن يرزقنا الصواب والإخلاص في القول والعمل . والله أعلم بالصواب .

14- آه كم كانت قيمة فنجان الحليب عظيمة ! :

خلال فترة السجن التي قضيتُـها فيما بين سبتمبر 85 وجانفي 86 م في 4 سجون جزائرية عُذِّبت خلالها أكثر بكثير مما عُـذبت خلال فترة السجن الأولى التي استمرت معي لمدة عام ونصف , أي من نوفمبر 82 إلى ماي 84 م , مرت بي أحداث جسام بعضها حلو وبعضها مر , ولكن الكل فيه عبرة وعظة بإذن الله تعالى .

ظروف المعتقل الانفرادي في زنزانة خاصة بي كانت سيئة جدا , من حيث الأكل والشرب والفراش والغطاء واللباس , والحاجة إلى الوضوء والغسل والتيمم , وكذا إلى الضوء والهواء , وإلى النوم , وإلى الراحة والهدوء , وكذا الرغبة في البقاء ولو ليوم واحد بدون تعذيب جسدي ونفسي و ... ومن مظاهر معاناتنا في الزنزانة الأكل القليل وغير الصحي والوسخ والأكل بدون ملعقة و ...

ومما مر بي خلال تلك الفترة من أحداث صغيرة ولكن فيها عبرة : فنجان الحليب الذي كنت أشربه كل صباح حوالي الساعة 6.00 صباحا .

كان الحارس الجلاد القاسي الغليظ العنيف الفظ ... يأتينا في كل يوم على الساعة السادسة صباحا بفنجان حليب ساجن , فنجان وليس كأسا , أي أن كميته قليلة بالمقارنة مع كمية الحليب العادية التي يشربها أغلبية الناس في بيوتهم في اليوم مرة أو مرتين , سواء كانوا صغارا أو كبارا , رجالا أو نساء . وكان الجو البارد من جهة والجوع والعطش من جهة ثانية , وكذا المعاملة الفظة الغليظة التي كنا نُـعامَـل بها في المعتقل من جهة ثالثة , كل ذلك كان يجعل فنجان الحليب يتحول في نظري إلى كنز من الكنوز الـثمينـة للغاية والغالية جدا . كنتُ أمسكُ بفنجان الحليب بقوة وأحيطه بيدي الاثنـتين من أجل التدفئة من جهة , ومن جهة أخرى كأنني أخاف أن يطير أو يتبخر الحليب من بين يدي . أشرب الجرعة الصغيرة الواحدة في كل دقيقة تقريبا , وأقسِّم الفنجان إلى حوالي 30 جرعة خلال 30 دقيقة تقريبا . أشرب الجرعة الواحدة وأستمتع بهذا الشرب كل الاستمتاع وكأنني آكل اللحم أو الكبد أو كأنني أشرب العسل المصفى أو ... كنت أشرب الجرعة الواحدة من الحليب الدافئ وكأنني ملِك أو سلطان أو رئيس دولة أو ... كنت أشرب فنجانَ الحليب وأقول في نفسي " أنا في نعمة لو علم بها من سجنني لقاتلني عليها بالسيف " .

كنتُ أستمتع وأتلذذ كثيرا بشرب الحليب من هذا الفنجان الصغير , وأتمنى لو يبقى فنجان الحليب عندي لأقسَمه إلى ألف قسم أو ألف جزء , ولأستمتع بالشرب لأطول مدة ممكنة , ولو استمر شربي للحليب ليوم كامل . ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه , ومنه فعندما تصل السادسة والنصف (أي بعد نصف ساعة من بدء شربي للحليب) يفتح الحارسُ الجلاد نافذة زنزانتي الصغيرة ليطلب مني فنجان الحليب الفارغ , ويا ويلي إن رفضتُ إعطاءه الفنجان أو طلبتُ وقتا إضافيا لزيادة الاستمتاع بشرب الحليب .

وعندئذ وعندئذ فقط انتبهتُ إلى أن شربَ الحليب نعمة عظيمة , وإلى أن الأكل والشرب نعمة عظيمة , وإلى أن الحرية نعمة عظيمة , وإلى أن الإسلامَ أعظمُ النعم وأجلُّـها على الإطلاق , وإلى أن نعم الله علينا لا تعد ولا تحصى , ولكن قل من يشكر الله عليها .

يا رب إذا أنعمت علينا فاجعلنا من الشاكرين , وإذا ابتليتنا فاجعلنا من الصابرين , آمين .

15- النوم في الماء البارد والصلاة عريانا ! :

يجب على المسلم أن يستر عورته المغلظة (من الرجل : القبل والدبر , ومن المرأة : الإليتان والفخذان والعانة) أثناء الصلاة , مع القدرة على الستر . فإن لم يستطع صلى عريانا , وصلاته صحيحة بإذن الله . وإذا علم المصلي أن هناك من يعيره ما يستر به عورته فلم يستعره وصلى عريانا بطلت صلاته . وإن وجد ساترا نجسا أو حريرا فصلى عريانا بطلت صلاته كذلك , لأن الواجب ستر العورة بواحد منهما , والحرير مقدم على النجس .

وأذكر بالمناسبة هنا ما وقع لي في السجن أو بالضبط في الزنزانة خلال حوالي 12 يوما في مدينة ... عام 1982 م عند رجال المخابرات العسكرية الجزائرية , حيث قضيتُ منها 3 أيام وأنا عريان كيوم ولدتني أمي . نزعوا لي ثيابي بالقوة وفرضوا علي أن أبقى هكذا لمدة 3 أيام بلياليها , زيادة في الإهانة والتعذيب والتنكيل والسخرية والاستهزاء و ... حتى يصدوني عن سبيل الله أو عن الدعوة إلى الله أو التمسك بالإسلام وهيهات هيهات ... فرضوا علي أن أبقى 3 أيام كاملة غير منقوصة عريانا تماما : آكل عريانا وأشرب عريانا وأخرج من المرحاض وأدخل إليه عريانا . وفرضوا علي كذلك أن أنام عريانا بلا فراش ولا غطاء , بل وسط كمية من الماء البارد (في ليالي نوفمبر الباردة جدا خاصة في مدينة ... عاصمة الشرق الجزائري) ارتفاعها حوالي 60 سنتيمترا : أنام في الماء البارد بهذا الشكل خلال ساعات الليل كلها فأنام حوالي 60 مرة وأستيقظ حوالي 60 مرة خلال الليلة الواحدة . ثم يُحقق معي وأعذب بمختلف أنواع التعذيب وأنا عريان كذلك , وأقرأ القرآن وأنا عريان و... وأصلي كذلك وأنا عريان , لأن الإسلام برحمته أباح للمسلم أو أوجب عليه – حتى يبقى متصلا بربه باستمرار - أن يصلي (إن لم يجد ما يستر به جسدَه) ولو عريانا , ولو كيوم ولدته أمه . أسأل الله أن يقوينا على أنفسنا وعلى الشيطان , وأن يهدينا وأن يهدي حكامنا وحكام المسلمين أجمعين إلى سواء السبيل , آمين .

16- الأخوة والمحبة في السجن نعمة عظيمة جدا :

أذكر أننا عندما كنا في سجن البرواقية (ولاية المدية) لمدة عام ونصف , قضينا سنة ونصف السنة كفترة من أحسن فترات حياة كل واحد منا الخاصة , أو قضينا أياما هي من أحسن الأيام في حياتنا . وفي المقابل قضينا في نفس الفترة أياما هي من أسوأ الأيام في حياتنا .

السجن كأي شيء آخر فيه الخير الكثير وفيه الشر الكبير .

كان في السجن الجوع والعطش والألم والحزن والتعذيب النفسي والبدني والإذلال والإهانة والظلم والقهر والتعدي والإساءة والفساد والإفساد , وسب الله ورسوله وعلماء الإسلام وشتم الصحابة رضوان الله عليهم , والتهديد بالإكراه على الزنا وعلى شرب الخمر ...الخ ...

ولكن كان في السجن كذلك الأخوة والمحبة والتكافل والبكاء من خشية الله والذكر والدعاء الصادقان والخالصان ورؤية الرسول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في المنام وتعلم الدين وحفظ القرآن وقوة الإيمان والثبات على الحق والاستهانة بالباطل مهما علا وتكبر,والاعتزاز بالحق والاستعداد في كل وقت للتضحية بالنفس رخيصة في سبيل الله و ... وهكذا ...

ومما أذكره من حسنات السجن فيما بين نوفمبر 1982 م وماي 1984 م الأخوة الكبيرة والمحبة العظيمة التي كانت فيما بيننا وكذا سعة الصدر وطول البال أثناء خلافاتنا مع بعضنا البعض . نختلف – طبعا في مسائل دينية أو دنيوية , فرعية وثانوية واجتهادية - فيما بيننا . ويسيء الواحد منا إلى الآخر في حوالي 1 % من الأحوال , ولكن والحمد لله وفي حوالي 99 % من خلافاتنا كان شعارنا قولا وعملا , قانونا وتطبيقا هو " رأيي صواب ولكنه يحتمل الخطأ ورأيك خطأ ولكنه يحتمل الصواب " و " نتفق ونحن إخوة ونختلف ونحن إخوة كذلك" و" اختلافاتنا يجب أن تكون رحمة لا نقمة " و " نختلف ولكن لا يجوز أن يفسد اختلافنا الود الذي يجب أن يكون بيننا " و " المحافظة على الأخوة الإسلامية ومقتضياتها واجب من أهم واجبات الإسلام " .

ومنه فإنني أؤكد على أننا اختلفنا فيما بيننا في مئات المسائل , ومع ذلك لا يقول أحدنا للآخر ما يسيئه أو يجرحه أو يقلقه أو يؤذيه أو ... ولا يسب أحدنا الآخر ولا يشتمه أبدا , ولا يسخر أحدنا من الآخر ولا يستهزئ به في أية لحظة , ولا يُنفِّر أحدنا من أخيه ولا يُحذر منه مهما كان . وأؤكد على أنه لم يقل أحدنا لآخر " أنت ضال أو منحرف أو فاسق أو فاجر أو مائع أو منحل أو مبتدع أو... أو أنت تكذب أو تسرق أو تخون أو ...". لم يحدث هذا لا في النوم ولا في اليقظة . وحلاوة الجو الإيماني الذي كنا نعيشه في السجن وكذا بركات الأخوة والمحبة التي كنا نستظل بظلالها لا يحس بها إلا من عاشها , ومع ذلك نسأل الله أن يعافينا جميعا من السجن" لا تتمنوا لقاء العدو , ولكن إذا لقيتموه فاثبتوا ".

وكنتُ في تلك الفترة أقدم لإخواني ال 20 الموجودين معي في السجن درسا أسبوعيا في فقه العبادات على المذهب المالكي مقارنا بالمذاهب الأربعة الأخرى (الشافعي وأحمد وأبو حنيفة وبن حزم) , وكنت في دروسي هذه أركز على جملة أشياء منها :

1- تعلم أحكام العبادات على مذهب الإمام مالك .

2- مقارنة مذهب الإمام مالك ببقية المذاهب والتأكيد على أن كل المذاهب محترمة وكلها تشكل الإسلام العظيم , وأنه لا يجوز التعصب لواحد منها ولا ضد واحد منها .

3- تعلم فقه الاختلاف والاستفادة منه في سائر شؤون حياتنا الدينية والدنيوية .

وفي المقابل كان الكثير الكثير من الإخوة الإسلاميين المعتقلين في الجزائر في الفترة ما بين 1992 م و 2000 م , كانوا في بعض المعتقلات يختلفون فيما بينهم بالليل والنهار في مسائل ثانوية فرعية اجتهادية في الدين أو في الدنيا . وبسببها يسخر بعضهم من بعض ويشتم بعضهم بعضا ويحذر بعضهم من بعض , و ...وكانوا يعيشون كأنهم خصوم وأعداء وكأنهم ليسوا إخوة في الدين وليسوا دعاة إلى الله وليسوا مساجين ومعتقلين في سبيل الله , و... ووصل بالبعض منهم الجهل والتعصب للأسف إلى درجة أنهم أصبحوا يصلون في المعتقل جماعة من خلال أكثر من جماعة واحدة للصلاة المفروضة الواحدة , وذلك بسبب الاختلاف والتعصب لمسائل بسيطة جدا لا يجوز أبدا التعصب لها أو التشدد من أجلها , لأنها إما متعلقة بمستحبات أو سنن فقط , أو بواجبات أو فروض خلافية بين الفقهاء والعلماء .

17- " سي عبد الحميد , وعمي عبد الحميد , والأخ عبد الحميد " :

أنا هنا أذكر جانبا هزليا بسيطا جدا من حياتنا التي كنا نعيشها في السجن , والذي كنا من خلاله نُرِّوح به عن أنفسنا ونقوي من خلاله أنفسنا على عبادة الله وكذا على الصبر على متاعب السجن والتحقيق والتعذيب و ... كنا في السجن في الفترة الممتدة من نوفمبر 1982 م وماي 1984 م , كنا 21 شخصا : أنا ومعي 20 آخرون .

وكنا ثلاثة أشخاص أسماؤنا " عبد الحميد " .

ومنه اقترح علينا في يوم من الأيام الأخ محمد السعيد الذي كان أستاذ أدب عربي في الثانوية ثم في الجامعة (رحمه الله , لأنه مات خلال السنوات الحمراء العشرة بالجزائر , أي سنوات التسعينات) . قلتُ : اقترح علينا الأخ أمرا حتى لا تختلط الأسماء بين الإخوة بين عبد الحميد وعبد الحميد وعبد الحميد .

اقترح علينا اقتراحا اتفقنا عليه جميعا , وبقينا نعمل به طيلة العام والنصف وحتى خروجنا من السجن في ماي 1984 م , بعد أن حكمت محكمة أمن الدولة بالمدية , حكمت علينا جميعا بالبراءة .

اقترح الأخ الفاضل رحمه الله رحمة واسعة ورزقه أجر الشهداء , لأنه مات مقتولا .

اقترح أن ينادى الإخوة :

1- على الأول (وكان طبيبا إسمه ... عبد الحميد) ب " سي عبد الحميد " .

وسي معناها " السيد " , وهي كلمة تطلق على الشخص كدلالة على احترامنا وتقديرنا له ولعلمه , كما نقول اليوم للمطلع على الإسلام " يا شيخ " .

2- وعلى الثاني (وكان طالبا في جامعة بضواحي الجزائر العاصمة , إسمه ... عبد الحميد) ب " الأخ عبد الحميد " .

3- وأن ينادى علي أنا (عبد الحميد رميته) , بـ " عمي عبد الحميد " .

ومع أنني لم أكن الأكبر سنا في ذلك الوقت , بل كان عمري آنذاك 27 عاما وكان الشيخ عباسي مدني مثلا يرقد بجانبي في ذلك السجن وفي تلك الفترة , كان عمره حوالي 53 سنة أي أن سنه كان ضعف عمري أنا , إلا أن الأخ اقترح على إخواني مناداتي ب" عمي " من جهة للتفريق بيني وبين الآخرين ومن جهة أخرى من باب الاحترام والتقدير لمن نقول له " عمي " حتى وإن كان في السن أصغر منا .

وكم كانت تعجبني كلمة " عمي عبد الحميد " التي سمعتها بعد ذلك من إخواني خلال فترة السجن كلها , سمعتها منهم آلاف المرات . وفقنا الله جميعا لكل خير , آمين .

18- أحسن يوم في حياتي :

هو اليوم الذي انتهيتُ فيه من حفظ القرآن الكريم مع بداية 1983 م (في سجن البرواقية , ولاية المدية) , وذلك خلال شهور (أقل من 6 أشهر) . بدأت بحفظ ثمن واحد في اليوم ثم تتقوى الذاكرة , حتى وصلتُ إلى نهاية سورة الكهف. بعدها حفظت ال 30 حزبا الأخيرة بمعدل حزب واحد في اليوم . وكنتُ بطبيعة الحال متفرغا كل التفرغ للحفظ وللحفظ فقط . أبدأ الحفظ قبل الصبح وأنتهي بعد العشاء .
وكنت أتمنى أن لا يخرجني المسؤولون الظالمون من السجن وأن لا يطلقوا سراحي إلا بعد إكمال حفظ القرآن الكريم . وتم لي ذلك بحمد الله . وفي اليوم الذي انتهيت فيه من الحفظ احتفل الإخوة في السجن بختمي للقرآن , ومعي الأخ محمد السعيد رحمه الله الذي ختم معي القرآن في نفس اليوم .
وكان ومازال هذا اليوم هو أفضل وأحسن وأطيب يوم في حياتي . لا أنساه أبدا ولا أنساه ما حييت , وإن نسيتُ أياما أخرى كثيرة . والفرحة التي أحسستُ بها في ذلك اليوم , لا ولن يعرف قدرها إلا من عاشها , فلله الحمد والمنة .

19- أحسن ليلة في حياتي ليلتان :

ليلة ذكرتها من قبل في مناسبة أخرى , وهي الليلة التي تزوجت فيها , وليلة أذكرها الآن : تم إدخالي السجن من يوم 1985/9/30 م إلى 1986/1/15 م بتهمة الانتماء لجماعة " بويعلي مصطفى " رحمه الله الذي لم أكن أعرفه وما عرفْتُـه من بعد قط , حتى سمعتُ خبرَ مقتلِـه بعد ذلك بمدة . تم التحقيقُ معي 3 مرات (وتأكدتْ براءتي مما اتهمتُ به 3 مرات كذلك) , وسُلطتْ علي أشكال التعذيب المختلفة المادية والبدنية والنفسية والمعنوية , وعُذبت بالكهرباءِ وغير الكهرباء , بالضربِ بالطرق المختلفة , بالسبِّ والشتم , بسبِّ الله وسب

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والعلماء , بالتهديدِ بإجباري على الزنا وشرب الخمر و... وأثناء هذه الفترة كان أنيسي الأساسي هو الصلاةَ والقرآن والذكر والدعاء , وخاصة القرآن الكريم الذي كنتُ حفظتُه في السجن الأول كاملا . وكنت أبكي باستمرار وأبكي وأبكي - لا جزعا ولا يأسا - وإنما من أجل أن أطمئنَّ إلى أن البلاءَ نزل لمغفرةِ الذنوب وتثبيتِ الأجور ورفعِ الدرجات (بإذن الله) لا كعقوبة من الله .
كنتُ أبكي باستمرار وأقول " يا أللهِ أرني علامة تطمئنني من خلالها أنَّ البلاءَ النازل بي ليس عقوبة **!!!**" " يا أللهِ يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله " وبقيتُ على ذلك أياما وأياما أبكي وأدعو الله وأتوسلُ إليه وأتضرعُ إليه وأرجوهُ " يا أللهِ يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله ..... يا أللهِ يا الله يا الله يا الله يا الله ..... يا أللهِ يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله" . وفي ليلة من الليالي رأيتُ رسولَ الله عليه الصلاة والسلام في المنام (على صورته الواردة في السنة الصحيحة) , رأيتُـه وكأنه في غزوة من الغزواتِ , رأيته وهو ممتطي لجواده مع أصحابه . توقفَ ونظر إليَّ وكنتُ واقفا على رجلي وقال لي : " إمض إلى الأمام (ولا ترجع إلى الوراء), إنَّـكَ على حق " .
وعندها استيقظتُ من نومي على فرحة لم أشعر بمثلها إلا في ليلة زواجي . استيقظتُ وأنا أضحكُ فرحا وأبكي فرحا واختلطتْ عندي دموعُ الفرح مع ضحكاتِ وابتساماتِ الفرح .
وأصبحتُ في ذلك اليوم وأنا أشكر الله ثم أشكره ثم أشكره بعد أن نزلتْ على قلبي سكينةٌ وطمأنينة لم أعرفهما من قبل . وأصبحتُ أقولُ وبصوت مرتفع داخلَ زنزانتي , غيرَ مهتم بمن يسمعني أو لا يسمعني , أقولُ والفرحةُ تغمر كياني كله " والله يا الشاذلي بن جديد (رئيس الجمهورية في ذلك الحين) , أنا في سعادة لو علمتَ بها لقاتلتني عليها بالقوة والسلاح " , " إفعلوا - يا جلادين - بي من اليوم فصاعدا ما تشاءون , فإنني لا أبالي . وإذا كنتم تملكون بدني فإنكم لا ولن تملكوا قلبي أبدا . بدني تفعلون به ما شئتم بإذن الله , وأما قلبي وعقلي وروحي فلا سلطان لكم عليه : إنه لربي أولا ثم لي ثانيا وليس لكم منه شيء ".
هذه أحسنُ ليلة في حياتي مع ليلة زواجي . والله أعلم بالصواب .

20- النكت المتعلقة بالقرآن أوالسنة :

أنا من زمان ضد أن نحكي نكتا لها صلة بالقرآن أو بالسنة , ولو بنية حسنة , حتى لا يميل الشخصُ بعد ذلك إلى الابتسامة أو الضحك - ولو بنية حسنة ولو بدون أن يشعر ولو بدون إرادة منه - كلما قرأ الآية أو الحديث المتعلق بالنكتة . يميل المرء إلى ذلك عوض أن يخشع قلبه لذكر الله . ومنه فأنا أرى أن الأولى عدم حكاية النكت المتعلقة بالقرآن أو بالسنة للسبب المذكور سابقا .
وهاكم مثالا يبين لماذا قلتُ بأن الأولى عدم حكاية هذه النكت :
في نوفمبر وديسمبر 1982 م كنت في زنزانة (داخل سجن البرواقية , ولاية المدية) مع

أربعة أشخاص آخرين (عبد الله جاب الله , محمد السعيد رحمه الله , عباسي مدني , وأخ رابع من الحراش) . وأنا من عادتي منذ كنت طالبا لا أحب أن أصلي بالناس جماعة , خاصة في الصلوات الجهرية , بالدرجة الأولى بسبب أن صوتي بالقرآن ليس حسنا بالقدر الكافي بالمقارنة مع الكثيرين , ورحم الله امرء عرف قدر نفسه . ومنه عرضَ علي الإخوةُ الأربعة في الزنزانة أكثر من مرة لأصلي بهم جماعة , ولكنني كنتُ أرفض بقوة . وكان الذي يصلي بنا أحيانا هو الأخ محمد السعيد رحمه الله وأحيانا أخرى هو الأخ عبد الله جاب الله .
وفي يوم من الأيام حكى بعض الإخوة - في الصباح - نكتة متعلقة بآية من سورة البقرة , فنصحتُ الإخوة أن يبتعدوا عن حكاية مثل هذه النكت . وفي المساء , وقبل العِشاء ألح علي الإخوة حتى غلبوني وصليتُ بهم العشاءَ صلاة جماعة . ومن الصدف أو الاتفاقات التي لم أحبها أنني ما انتبهتُ إلى نفسي إلا وأنا أقرأُ في الصلاة نفسَ الآية التي ذُكرتْ النكتةُ في الصباحِ متعلقة بها . بدأتُ القراءة ثم انتبهت للأمر فأتممتُ الآية وركعتُ بسرعة . سمعتُ صوتَ من يريدُ أن يضحك يأتيني من شخصين هما الشيخ عباسي مدني والشيخ محمد السعيد رحمه الله . أسرعتُ في الصلاة قليلا حتى لا أُحرج من يريدُ الضحكَ ولا أفسدَ عليه صلاته . ولكن ... قبيل أن أقول " السلام عليكم ورحمة الله " بدأ الشخصان في الضحكِ . من لم يضحك نيته حسنة , ومن ضحك نيته حسنة كذلك . سلَّمتُ على اليمين وعلى اليسار , ثم استدرتُ إلى الأخوين الكريمين وقلت لهما " هيا أعيدا صلاتكما , لأنها باطلة " , ولكنهما لم يقوما لإعادة الصلاة إلا بعد أن أكملا ضحكهما . وبعد انتهائهما من الصلاة قلت لهما " أريتما صدق ما قلت لكما في الصباح , عندما حذرتكما من حكاية النكت التي لها صلة بالشرع وخاصة بالقرآن أو السنة.ألم تريا ماذا وقع لنـا الآن !؟. ومنه فأنا دوما أقف ضد أية نكتة لها صلة بالقرآن أو بالسنة مهما حكاها الشخص بنية حسنة .

21- هذه قيمة الشؤون الدينية عند البعض من مسؤولي المخابرات في بلداننا الإسلامية :

في نوفمبر 1982 م اعتقلتُ من طرف رجال المخابرات الجزائرية , وذلك من داخل ثانوية مدينة أم البواقي لأبقى أتنقل من معتقل إلى معتقل ثم لأستقر في سجن البرواقية الذي لم أخرج منه (بعد الحكم بالبراءة) إلا يوم 15 ماي 1984 م .

وقبل أن أؤخذ إلى المعتقل أُخذتُ إلى مقر مخابرات ولاية أم البواقي العسكرية , حيث تم التحقيق معي بسبب اتهامي بأنني أتصل بالدعاة هنا وهناك وأُكثرُ من الحديث عن الإسلام ومن الدعوة إليه , وبأنني أنتقد باستمرار سياسة الدولة وأدعو إلى الخروج على النظام , وبأنني عضو في تنظيمات إسلامية سرية الغرض منها في النهاية قلب نظام الحكم في الجزائر , و...

وخلال الساعات القليلة التي قضيتُـها مع رجال المخابرات , بين التهديد والوعيد , ومع سب الدين والله والرسول وكذا سب أمي وأبي وتهديدي بالويل والثبور إن لم أُطلِّـق طريقَ الدعوة إلى الله وأعلن الولاء التام للنظام الظالم والجائر و... في الجزائر, قلتُ : قي تلك الأثناء سألني الضابط في المخابرات " ما رأيك في شرب الخمر ؟!" .

قلتُ له " حرام ثم حرام , وهذا ليس رأيي ولكنه من البديهيات في ديننا التي لا يناقشها مسلم ولا يجتهد فيها عالم ولا ينكرها إلا كافر وجاحد " .

رد علي عندئذ غاضبا " أنتَ لست المرجعَ في الدين , ولكن المرجع هو مدير الشؤون الدينية ... ويا ويحك إن قال لي هو خلاف ما تقوله أنت الآن ".

أخذ الضابطُ بعد ذلك وفي الحين سماعة الهاتف واتصل بالسيد مدير الشؤون الدينية على مستوى الولاية , وسأله " ما الرأي في شرب الخمر ؟!" , فسمعتُ السيدَ المدير يقول له

" حرام يا حضرات الضابط " , فما كان من ضابط المخابرات إلا أن أشبع السيدَ المدير سبا وشتما مع بعض الكفر ومع الكثير من الكلام الفاحش !!!.

وأعلق على هذه الحادثة أو الوقفة بما يلي :

1- المسؤول الذي لا يخاف الله تعالى لا يُنتظر منه أي خير لنفسه أو لشعبه أو ... أو للبلاد أو العباد .

2-" رجل الدين" له وجود عند النصارى واليهود ولكن لا وجود له عندنا في الإسلام . في الإسلام يمكن أن يكون كل واحد منا رجل دين إذا تعلم دينه واتقى ربه سبحانه وتعالى . ومنه فلا معنى لقول رجل المخابرات بأن مدير الشؤون الدينية هو المرجع الوحيد أو هو المرجع أو ...

3- من علامات بعد الحكم أو النظام عن الإسلام : أن تعلو كلمة العسكري وتنخفض كلمة الدعاة أو العلماء المسلمين .

4- من خاف الله وحده خوَّف الله منه كلَّ شيء , ومن لم يخف اللهَ وحده خوفه اللهُ من كل شيء .

5- من خاف الله وحده أحبه الناس وحزنوا لموته كثيرا , وأما من خاف غير الله لم يحبه أحد ولم يحزن لموته أحد , ويموتُ عندما يموتُ كما تموت الكلابُ أكرمكم الله .

22- بين مراعاة الدين والجمال في اختيار الزوجة :

عندما أردتُ أن أتزوج في صيف عام 1982 م , لم أسأل أبدا عن الجمال , وإنما سألتُ فقط عن الدين وعن الدين فقط . سألتُ بعض الأصدقاء من مدينة ميلة حيث علَّمتُ بثانويتها عام 1978 – 1979 م- , سألتُ عن امرأة :

1 - متدينة .
2 - لا تعمل خارج البيت.
3 - ومثقفة ثقافة متوسطة .

ولم أذكر الجمال لا من قريب ولا من بعيد . قيل لي " أطلب أختَ تلميذك فلان (الذي درس عندك منذ عامين) , فإنها بنت حلال وبنت عائلة طيبة ومحترمة , وهي لا تعمل , ومستواها هو السنة 3 ثانوي" . قلتُ " نعم سأطلبها من أهلها بعد أيام قليلة عن طريق البعض من رجال ونساء أهلي " , قيل لي " أطلب صورتها من أخيها " , فقلتُ " لا أريد الصورةَ " , فقيل لي " نتحايل لك – تحايلا جائزا - ونريك هذه الفتاة في وقت من الأوقات , عندما تخرج من بيت أهلها أو عندما تكون داخلة إليه " , فقلتُ لهم " لا أريد ذلك , لأن الذي يُـهمني هو الدين فقط ثم يكفيني بعد ذلك أن لا يكون فيها عيبٌ خِلقي ظاهر وملفت للإنتباه ".

طلبها أهلي من أهلها بعد أيام ووافقتْ هي ووافق أهلُـها , ثم بعد أيام أخرى قليلة تم العقد الشرعي " الفاتحة " في بيت أهلها (يوم 1982/08/30 م) . وفي ذلك اليوم ذهبنا إلى البلدية حيث تم العقد البلدي أو القانوني أو الإداري . ذهبت في ذلك اليوم , أنا وأبي (رحمه الله) , وجاءت الفتاةُ مع أبيها وخالها . وأثناء هذا العقد رفعتُ رأسي لأنظر شبه نظرة – خُـفية , ومع كثير من الخجل والحياء - إلى وجهها ثم خفضتُ رأسي وحولتُ نظري إلى جهة أخرى .

وكانت هذه النظرة أو شبه النظرة هي الوحيدة التي ظفرتُ بها من زوجتي حتى ليلة دخولي عليها . وكنتُ أخبرتُ أهلَ الفتاة بأنني سأتزوج خلال عطلة الشتاء من نفس العام (أي بعد 3 شهور ونصف تقريبا : من 30 أوت إلى نهاية ديسمبر 82 م) , ووافقوا على ذلك . ولكن " عبدي ! أنت تريد وأنا أريد" ,ولا يكون في النهاية إلا ما يريد الله تعالى , ومنه فإن المخابرات العسكرية اعتقلتني يوم 9 نوفمبر 1982 م من مدينة أم البواقي حيث كنتُ أُدرِّسُ هناك , وبقيتُ في السجن لمدة عام ونصف (من 1982/11/9 م وإلى 15 ماي 1984 م) لم أر خلالها زوجتي ولو لمرة واحدة .

ولا أخفي على إخواني القراء أنه وتحت وطأة السجن وعذابه وويلاته تمنيتُ لو زارتني زوجتي في السجن مع أحد أهلها , ومع ذلك هي لم تفعل لا لأنها لم تُـردْ ذلكَ , ولكن لأنه كان لها عَـمٌّ متشدد ومحافظ وكان يرى أنه لا يليق بالمرأة أن تزورَ رجلا في السجن أو خارجه

مادام هذا الرجل لم يدخل بها بعدُ . وكان عزائي في ذلك الوقت أنني أرسلتُ إليها أُخيِّرها بين أن أُطلِّقَها (لأن مصيري في السجن مجهول) أو تنتظرني حتى أخرج من السجن , ولكنها اختارت أن تنتظرني وقالت لأهلها بكل وضوح وصراحة " أنتظره حتى يخرج من السجن , ولو انتظرته طيلة حياتي . أنتظره , ولن أطلب منه الطلاق أبدا " .

خرجتُ من السجن وجهزتُ نفسي للزواج وتزوجتُ يوم 13 جويلية عام 1984 م , وما رأيتُ قبل الدخول وجه زوجتي إلا نصف نظرة ولبضع ثواني فقط في البلدية في يوم من الأيام .

تزوجتُ بهذا الطريقة لأنني كنت واثقا من نفسي كل الثقة بأن الذي يهمني من المرأة هو الدين فقط , وأما الجمال فكنتُ وما زلتُ مقتنعا بأن أغلبية النساء جميلات الجمال المتوسط والعادي , كما كنتُ مقتنعا بأن الذي سيسعدني بزوجتي هو دينها أولا وثانيا وثالثا و ... وأما الجمال فيأتي عندي في المرتبة الأخيرة .

وإذا كان الإمام أحمد رضي الله عنه عالما من العلماء الكبار , فليس مستحيلا ولا ممنوعا علينا – نحن البسطاء من المؤمنين - أن نقلده في ميزة من ميزاته رضي الله عنه وأرضاه وفي خاصية من خصائصه . رسول الله أسوتنا الأولى ثم يأتي بعده الصحابة والتابعون والعلماء والصالحون و...

1- تزوجتُ بهذه الطريقة , ولو تتاح لي الفرصة لأتزوج من جديد لتزوجت بنفس الطريقة لأنني ما ندمتُ عليها أبدا .

2- تزوجتُ بهذه الطريقة , وأنا سعيد جدا بزواجي وبزوجتي التي عندي معها 6 أولاد : 3 ذكور و3 إناث .

3- تزوجتُ بهذه الطريقة ولم أقل لزوجتي أو مع نفسي في يوم من الأيام " يا ليتني تزوجتُ بامرأة أجمل! ". ما قلتُ هذه الكلمة لا في النوم ولا في اليقظة , لا بيني وبين نفسي , ولا أمام أي واحد من الناس . بل الذي يقع باستمرار هو أنني أقول لزوجتي صادقا ومخلصا " أنتِ عندي أجملُ امرأة في العالم " , مع أنني أعلم بيقين أنها امرأة عادية تماما , ولكن الله قذف في قلبي الرضا والقناعة,فأنا أرى دوما بأن زوجتي هي أجمل امرأة في الدنيا.

أسأل الله أن يبارك لكل زوج في زوجته , وأن يجمع بينهما في خير , آمين .

23- أنت بهذه الطريقة سبب غير مباشر لمن قال " الدين أفيون الشعوب " :

قلتُ في يوم من الأيام لمن أكد لي على أن طاعة الحكام واجبة والخروج عليهم ممنوع شرعا مهما ظلموا وفسقوا ومهما تخلوا عن الحكم بما أنزل الله , بل مهما حاربوا الحكم بما أنزل الله تعالى , قلتُ له :

" السكوت عن ظلم ولي الأمر , يشجعه على زيادة الظلم والطغيان . ليس هناك ما يعجبُ حكام العرب والمسلمين الظلمة والمتكبرين والمتجبرين وأمريكا وإسرائيل مثل قولك " حكام العرب يجب السمع والطاعة لهم , ولا يجوز الخروج عليهم " . ومن هنا فإن أمريكا تشجع وحكام العرب والمسلمين يشجعون كثيرا التيار السلفي العلمي لأنه يوافقهم على الإسلام العصري الأمريكي الذي يدعو إلى الخنوع والخضوع والاستسلام للحكام مهما طغوا وتكبروا وتجبروا ".

ملاحظة : اسألني أخي الفاضل , وأنا أخبرك عن البعض من أحوال الحكام الظالمين , لأنني عانيتُ كثيرا في السجن , ومنه فأنا أعرِفُ تماما ما أقول لك . والله إن الذين سجنوني عندما يرونني الآن خارج السجن , إما أنهم يجرون اتجاهي ليُسلموا علي , وإما أنهم يهربون من طريقي . وفي الحالتين هم يعترفون ضمنيا بأنني على الحق وأنهم على باطل . لقد كانوا يعذبونني ويتفننون في تعذيبي ويسبون أمامي الله والرسول وعلماء الإسلام ويستهزئون بالنبي محمد ويهددونني بالزنا وشرب الخمر و ... ويعذبونني ويعذبونني ثم يقولون لي " قل لربك ينزل ليدافع عنك ..."!. ثم بعد ذلك يأتي الأخ الكريم ويقول لي هنا " طاعة الحكام واجبة , ولا يجوز الخروج عليهم" !!!. والله عندما يسمعُها منك واحدٌ ممن كان يعذبني , ربما سيضحك عليك سخرية واستهزاء , حتى ولو كنتَ أنتَ قلتَ ما قلتَ بنية حسنة وطيبة . إن الأمة الإسلامية أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وما زاد من طغيان حكام العرب والمسلمين وخضوعهم واستسلامهم للغرب وإسرائيل وأمريكا إلا سكوت الشعوب الإسلامية وخضوعها واستسلامها . ومن أهم من يشجع على الخضوع هو من يقول لنا " حكام المسلمين يجب السمع والطاعة لهم كما يجب عدم الخروج عليهم ". وبسبب هذه النظرة السلبية المتخاذلة قال ماركس قديما " الدين أفيون الشعوب " .

وبالفعل لو نأخذُ برأيك أنتَ أخي الفاضل ورأي من أخذتَ بقولهم , فإن الدينَ يصبح بالفعل عندئذ " أفيونَ شعوب " والعياذ بالله . والحكام الظالمون والمستبدون والفاسقون والطغاة و ... الذين يحكمون بقوانين الكفر ومازالوا مصرين على عدم تحكيم شرع الله , بل إنهم يحاربون ويسجنون ويقتلون ويعذبون وينفون و ... من يطالب بالحكم بما أنزل الله . هؤلاء الحكام ليس هناك ما يعجبكم مثل هذا الكلام الذي تقوله أنتَ , ولو بنية حسنة . إن الحاكم يضحك في نفسه ويسخر ممن يقول " طاعة الحاكم واجبة , ولا يجوز الخروج عليه " , لأنه يعلم يقينا أن هذا الكلام ينطبق على من يحكم بما أنزل الله (كما كان الحال عندما كان الإسلام مطبقا - ولو مع ظلم وانحراف - وعندما كانت أحكام الإسلام سارية المفعول و ... خلال حوالي 14 قرنا , أي قبل أن تسقط الخلافة الإسلامية عام 1924 م) . أما الآن ومع إصرار حكام المسلمين على

محاربة الله ورسوله ومحاربة شرع الله تعالى فالحديث عن " طاعة الحكام واجبة , ولا يجوز الخروج عليهم " كلام فارغ لا معنى له . وهذا الكلام مني لا يعني أبدا جواز الخروج بالطريقة الجاهلة التي تمت بعد 92 في الجزائر مثلا ولو بنية طيبة , ولا بالطريقة الفوضوية التي ينادي بها بعض السلفيين الجهاديين هنا وهناك ولو بنية حسنة . ولكنني أريد فقط أن أنبه إلى :

1- فرق بين الحكومة الإسلامية الظالمة والحكومة التي لا تحكم أساسا بما أنزل الله .

2- عدم الخروج على الحكام شيء والسكوت عن ظلمهم وجبروتهم شيء آخر .

3- فرق بين السمع والطاعة لحكام المسلمين الظالمين في المسائل التقنية التي لا جنسية لها كقوانين المرور وغيرها كثير , والسمع والطاعة لهم في المسائل التي لها صلة بالاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية والتعليم و ... والتي فيها أحكام شرعية صريحة وقطعية والحكام يخالفونها مع سبق الإصرار والترصد .

4- الخروج على حكام المسلمين الذين لا يحكمون بما أنزل الله (وأؤكد على هذا) واجب عند جمهور الفقهاء , ولكن السؤال المطروح هو كيف الخروج ؟! . وهو سؤال كبير وطويل وعريض يجيب عنه علماء لا عامة , وعلماء من هذا الزمان لا من زمان مضى , وعلماء عديدون لا عالم واحد , لأنه سؤال خطير جدا ويترتب عنه سفك دماء و ...

24- يمكن أن يغضب الواحد منا لأبسط الأسباب !:

الإنسان في أصله كما خلقه الله , عاجز وضعيف وقاصر ... يمكنه أن يفرح أو يحزن لأسباب بسيطة , كما يمكن أن يغضب لأسباب تافهة , كما يمكن أن يرضى أو يسخط لأسباب ثانوية , وهكذا ... وهذا الذي أقوله هنا قد ينطبق علي كما ينطبق على غيري , ويمكن أن يظهر علي شيء من ذلك اليوم , ويظهر على غيري في يوم من الأيام . هذا مع ملاحظة أن الواحد منا لن يعرف غيره بنقاط ضعفه ونقاط قوته إلا حين يعيش معه في سفر أو تجارة أو ما شابه ذلك , ولمدة طويلة نسبيا . وأما أن تعيش مع الشخص من خلال الصلاة في المسجد مثلا فأنت لا تعرفه حق المعرفة ولو بدا لك بأنك تعرفه . ومن هذا المنطلق أنا أحكي الآن القصة البسيطة الآتية التي وقعت لي مع الأخ محمد السعيد رحمه الله في سجن البرواقية ولاية المدية في فترة العام والنصف (من نوفمبر 1982 إلى ماي 1984 م) التي قضيناها هناك أنا و20 آخرون معي (منهم عباسي مدني وعبد الله جاب الله وبوجلخة وغيرهم) . وقبل ذلك أقول : عندما تعيش مع شخص في السجن لأسابيع أو شهور أو أكثر ستعرف عنه وسيعرف عنك الكثير من الدقائق ومن الحسنات والسيئات ومن نقاط الضعف والقوة ومن ... التي يمكن جدا أن لا يعرفها أحدكما عن الآخر خارج السجن ولو امتدت معرفتكما لبعضكما البعض لسنوات طويلة . كنتُ في السجن ولمدة شهور , كنت أقدم لإخواني فقه الصلاة والصيام على المذهب المالكي ... وكنت أكلف نفسي أحيانا بتحضير أكلات أو مشروبات معينة أقدمها للإخوة في السجن .

ومن ضمن ما كنت أحضره لهم عصير حلو [أحضره بحجم 5 لترات انطلاقا من مربى المشمش وعصير كمية من البرتقال والليمون وسكر و...]. حضَّرتُ هذا العصير في يوم من الأيام ثم بدأت أوزعه على كل الإخوة في السجن ليشربوا منه ما يشبعهم ويكفيهم . كان ال 20 أخا موزعين في ذلك الوقت عبر كل قاعة السجن الطويلة والعريضة (طولها حوالي 100 م) . حرصتُ على أن أكون آخر من يشرب , وأن أبدأ باليمين , ولم أخالف في ذلك إلا مع شخص واحد هو الأخ محمد السعيد الذي كان أول شخص موجود على يميني عندما بدأت أسقي القوم , وكان رحمه الله جالسا داخل المصلى (على الزربية) . عندما بدأتُ أسقي القوم نظر إلي نظرة لم أفهم معناها إلا فيما بعد . سقيت ال 19 شخصا , وآخرتُ الأخ محمد السعيد رحمه الله إلى النهاية , ثم نزعت الخف أو الحذاء أو ... ودخلتُ إلى المصلى وسلمت على الأخ محمد السعيد ثم جلستُ بجانبه وقلت له (آن الأوان لنشرب أنا وإياك سويا نصيبنا من العصير) . نظرتُ إليه فوجدته رد علي السلام بصوت منخفض لا أكاد أسمعه , ورأيتُ أن وجهه مصفر وعلامات الغضب الشديد بادية على وجهه . ما فهمتُ في البداية سبب الغضب . سألته وأعدت السؤال عدة مرات (ما بالك يا أخ محمد السعيد ... هل أسأت إليك في شيء ... هل قصرت في حقك في شيء ... هل ظلمتك أو اعتديت عليك في شيء ؟!. ماذا أصابك ماذا دهاك ؟!) . لم يرد علي بل أشاح بوجهه المصفر عني ... عندما ألححتُ عليه في السؤال قال لي (لا شيء) ... قلت له (هذا مستحيل ... وجهك لا ينبئ بأنه لا شيء يغضبك ... بإذن الله لن أتركك حتى تخبرني بسبب غضبك) . قال لي بعد طول انتظار (ألستَ أنت الذي تقدم لنا دروسا في الفقه وتعلمنا من خلالها الحلال والحرام والآداب والأخلاق و...) , قلت له (بلى ... أعلم وأتعلم في نفس الوقت) . قال لي (ألست أنت الذي تؤكد لنا باستمرار أنك حين تسقي قوما من السنة أن تبدأ بالأيمن فالأيمن) ... عندئذ وعندئذ فقط عرفتُ سبب غضبه . قال لي (ولماذا لم تبدأ بي أنا حين سقيتَ القوم ... لماذا تركتني حتى أكون في النهاية آخر من تريد أن تسقيه ؟!) . ضحكتُ عندئذ فزاد غضبه , وقال لي (وعوض أن تعتذر أنت تضحك) . قلت له (أنا أضحك لأن نيتي حسنة ... أنت الوحيد الموجود داخل المصلى , وأنت أقرب إلي من كثير من الإخوة هنا في السجن , فأردت أن أبقيك إلى النهاية لنشرب العصير أنا وإياك مع بعضنا البعض , ولنتبادل أثناء ذلك أطراف الحديث كعادتنا منذ شهور ... هذه هي نيتي وهذا هو قصدي ... وإذا كان هذا التوضيح مني لا يكفي , فأنا أعتذر إليك وأطلب منك السماح ... لن يتكرر هذا الخطأ مني بإذن الله مرة أخرى) . بدأ اصفرار الوجه والغضب يتلاشى , ومع ذلك بقيتُ أمزح معه وأحكي له نكتا وأدخل معه في موضوع وأخرج إلى موضوع آخر , حتى ذهب غضبه وقال لي مبتسما ومازحا (سامحنا الله جميعا يا عمي عبد الحميد) . فرحتُ كثيرا لذلك وحمدتُ الله على أن غلبنا على أنفسنا وعلى الشيطان . انتهت القصة البسيطة .

كل واحد منا ضعيف , والسجن مجال لنتعرف على بعضنا البعض أكثر , وما يُغضب الآخر قد لا يغضبني اليوم ويمكن أن يحدث العكس غدا , وما يبدو للغير مُهِما قد يبدو لي أنا تافها ويمكن أن يحدث العكس غدا , وهكذا ...

اللهم وفقنا جميعا لكل خير واجعلنا جميعا من أهل الخير .

25- " اللهم تقبل من الصائمين واغفر للمفطرين "!:

لا خلافَ بين علماء الإسلام على أنه لا يجوزُ الاعتماد على الحساب من أجل تحديد مواعيد المواسم الدينية . وإن أردتُ الدقةَ أكثرَ فإنني أقولُ بأن شبهَ إجماع منعقدٌ على أنه يحرمُ على الأمة الإسلامية الاعتمادُ على الحسابِ , وقلتُ " شبه إجماع " على اعتبار أن هناك قولا يبيحُ الاعتمادَ على الحسابِ . هذا القولُ شاذٌّ لأنه من جهة مخالفٌ للنصوص الإسلامية الشرعية الواضحة التي تأمرُ بالاعتماد على رؤيةِ الهلال , ولأنه من جهة أخرى مخالفٌ لمقتضياتِ العلمِ الصحيح والواقعِ الصريح اللذين يؤكدان باستمرار على أن الحسابَ ظنٌّ وليس يقينا " وإن الظنَّ لا يغني من الحق شيئا ". وأما مع الحرص على رؤية الهلال وبالنسبة للبلدان التي تشترك مع بعضها البعض في جزء من الليل , فإن بعض الفقهاء قالوا (إن رؤي الهلال في بلد وجب على الأمة كلها أن تصوم أو تفطر أو ...) , وقال آخرون (لكل بلد رؤيته) .

كنت في سجن البرواقية فيما بين نوفمبر 82 وماي 84 من القرن الماضي , كنت أقدم لإخواني هناك دروسا في فقه الصلاة والصيام .وكانت الجزائر في ذلك الوقت ومنذ 1975 م لا تعمل بالهلال بل تعتمد فقط على الحساب الذي يكذب غالبا ويتناقض كثيرا و... وفي يوم 29 من رمضان قدمتُ درسا للإخوة وأخبرتهم أن الواجب أن نسأل في هذه الليلة عن رؤية الهلال ونعمل برؤية أي بلد عربي أو إسلامي يشترك معنا في جزء من الليل , فإذا رُئيَ الهلال عملنا برؤيته وأفطرنا في الغد إن شاء الله , وإن لم تر الهلالَ دولةٌ من الدول أصبحنا غدا بإذن الله صائمين ومتممين لليوم الثلاثين من رمضان . وكان أغلبية الإخوة في السجن (حوالي 13 شخصا) موافقين لي , وكانت الأقلية (حوالي 7 أشخاص) معترضين على كلامي وعازمين على عدم مخالفة الجزائر حتى ولو كانت رافضة لترقب الهلال ومصرة على العمل بالحساب . خلال الليل أخبرنا بعضُ حراس السجن (ممن نثق في صدقهم) أن هلال شهر شوال رؤي في السعودية في تلك الليلة , فبلغت للإخوة أن غدا يوم عيد الفطر وأننا سنصبح بإذن الله مفطرين . في الصباح وبعد أن انتهينا من صلاة الصبح وما بعدها من الأذكار والأدعية المأثورة , انصرف الإخوة الصائمون , واتجهت أنا ومن معي من المفطرين , اتجهنا إلى مكان ما أعددناه مسبقا , فأكلنا تمرات وشربنا ماء أو حليبا وأكلنا بعض الحلويات وتبادلنا التهاني بمناسبة عيد الفطر (تقبل الله منا ومنكم , وغفر الله لنا ولكم , عيدكم مبارك , كل عام وأنتم بخير ... الخ ...) . وفجأة وفي لحظة من اللحظات وجدنا فجأة الأخ محمد

السعيد [رحمه الله رحمة واسعة] مارا علينا وقائلا لنا أو أمامنا وبصوت مرتفع يسمعه جميع من في قاعة السجن من المفطرين ومن الصائمين , قال (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... تقبل الله من الصائمين وغفر الله للمفطرين) . سكتَ من معي من الإخوة وغضبتُ أنا أشد الغضب لهذه الكلمة ورددتُ عليه قائلا (اتق الله يا أخ محمد السعيد ... نحن ما أسأنا إليكم فلا تسيئوا أنتم إلينا) . قال لي (وفيم أسأتُ إليكم ... لقد سألتُ الله أن يغفر لكم ... ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟!" . قلت له (يا أستاذ محمد السعيد صحيح أنك أستاذ أدب عربي وتفهم اللغة العربية أفضل مني . ومع ذلك فإن ثقافتي الدينية ساعدتني إلى حد كبير على الفهم الجيد للغة العربية . قد تقال " غفر الله لكم " في موضع بريء , وقد تقال في موضع آخر على سبيل الاتهام للغير . أنت الآن بقولك : تقبل الله من الصائمين , أنت تصحح صيامهم (وأنت معهم) مع أنهم آثمون لأنهم يصومون يوم العيد , وأنت بقولك : غفر الله للصائمين , أنت تعتبرنا مذنبين وآثمين وكأننا مستهترون ومنتهكون لحرمة شهر رمضان . نحن تحاملنا على أنفسنا ولم نتهمكم مع أنكم مجانبون للصواب , فلِمَ تتهموننا أنتم مع أننا على الحق والعدل والحمد لله ... فاتق الله في إخوانك يا أخ محمد السعيد ... ما ظلمناك نحن , فلا تظلمنا أنت ...) سكت ولم يجب ... وافترقنا وكل واحد منا غضبان على الآخر ... بقينا على ذلك حوالي يوم أو يومين , ثم رجعنا إلى بعضنا البعض كما كنا والحمد لله رب العالمين ... ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا , ربنا إنك رؤوف رحيم , آمين .